بعد النبي

obeikandl.com

obeikandl.com

عاشت السيدة عائشة بعد النبى ستا واربعين سنة ؛ وتوفيت وهى فى نحو السبعين من عمرها ، سنة ثمان وخمسين للهجرة

وقد توفى النبى عليه السلام فى بيتها يوم زيارتها ، ودفن بالمكان الذى كان ينام فيه

وقد علم كثير من الناس عند اشتداد المرض به انه مرض الوفاة ، ولكنه كان قد صحا بعض الصحو قبيل يوم وفاته حتى استأذنه أبو بكر فى الخروج الى بيته بالسنح ، وتفرق المسلمون متفائلين وهم يرجون الخير ويبعدون عن خواطرهم نذير الخوف . فلما قبض عليه السلام بعد ذلك روعت عائشة أيما روع وتعاظمها الخطب أن تملك صبرها وهو يموت بين سحرها ونحرها ، فنسيت لهول الساعة ما ينبغى لها ان تستقبل به هذا الوداع الذى لا يتكرر ولا تهونه سابقة وداع مثله : انها أم المؤمنين التى لبثت السنين بعد السنين تلقنهم ما لقنها النبى من سداد التجمل ووقار الحزن فى الملمات ... اذا هى تنسى كل ذلك ساعة فقده واذا هى امرأة والهة بين النساء تلتدم وتضرب وجهها : قالت : « ... وجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم يثقل فى حجرى ، فذهبت أنظر فى وجهه فاذا بصره قد شخص وهو يقول : « بلِ الرفيقِ الأعلي منِ الجنة » قلت : خيرت فاخترت والذى بعثك بالحق . وقبض بين سحرى ونحرى ودولتى

ولم اظلم احـــدا . فمن سفهى وحداثة سنى أنه صلى الله عليه وسلم قبض وهو فى حجرى ، ثم وضعت راسه على وسادة وقمت ألتدم مع النساء وأضرب وجهى »

ولم تشهد دفنه عليه السلام بعد وفاته بيومين ، لأن المسلمين كان قد بلغ من تنافسهم فى حبه أن يتولى كل فريق منهم مراسم دفنه على ما تعود فى بلده وبين أهله . وكان أهل مكة يسوون قاع القبر وأهـــل المدينة يقوســـونه . فبعث العباس بن عبد المطلب رجلين يدعو احدهما أبا عبيدة بن الجراح ويدعو الآخر ابا طلحة ، واولهما يضرح كأهل مكة والآخر يضرح كأهل المدينة . فعاد صاحب ابى طلحة به ولم يعد صاحب أبى عبيدة . فحفر اللحـــد على طريقة أهل المدينة وتولى القائمون على الجثمان الكريم دفنه بعد انقطاع المودعين عند هزيع من الليل . قالت عائشة وفاطمة رضى الله عنهما : « ما علمنا بدفنه صـــلى الله عليـــه وسلم حتى سمعنا صوت المساحى من جوف الليل »

وما برحت منذ تلك اللحظة تلازم تلك البقعة الخالدة ولا تفارقهـــا الا للعمرة أو الحج أو لزيارة قريبة ، وقلما كانت تزور

واتخذت سكنها فى الحجرة المجاورة لقبره وهى لا تحسب أنها قد فارقت منه غير مشهد جثمانه . فقد كانت تزوره زيارة الاحياء . ودفن أبوها الى جواره بعد سنوات فكانت

تزورهما كذلك زيارة الاحياء · فلما دفن معهما عمر جعلت بعدها تنتقب وتلبس ملابس الحجاب وهى تزور أولئك الاصدقاء المتجاورين ، كأنهم بقيد الحياة

وكانت فى أوائل العقد الثالث على أكبر تقدير عند وفاته عليه السلام فعاشت فى صحبته زهاء عشر سنين وعاشت فى ذكراه زهاء خمسين سنة · وحسبنا من شعور الناس بجلال تلك الذكرى فى نفسها ، أن أحدا لم يخطر له خاطرة عن السيدة عائشة تجيز التفكير فى حياة زوجية أخرى · كأنه خاطر حرمته قداسة تلك الذكرى وهيبة ذلك الوفاء ، فضلا عن الحكم بتحريمه فى سورة الاحزاب على سبيل التشريع

ولم تكن حياة السيدة عائشة فارغة فى خلال تلك السنين الطوال من لدن فارقها زوجها العظيم وهى تجاوز العشرين الى أن فارقت الدنيا وهى تقارب السبعين · لأنها فى حدة نفسها ورفعة مكانها لاتقبل الفراغ · فما هو الا أن هدأت ثائرة الفتنة بعد وفاة النبى عليه السلام وتوفر المسلمون على تحصيل مراجع الدين حتى كانت هى المرجع الأول فيما حفظ عندها من آى القرآن وماحفظته من السنن والاحاديث، وحتى كان بيتها مثابة الزوار من أبنائها وبناتها ، يدعونها يا أمه ! ومنهم من هى فى سن بناته الصغريات ، ويا له من دعاء محبب الى الاسماع

وكانت اذا فرغت من تلقين الاحاديث وجواب السائلين تاوى الى الصلاة والتسبيح فى جوار الضريح • أو تعمل فى مهنة البيت ذلك العمل الذى كان النبى عليه السلام يسرها بمساعدتها فيه

ومن أهم الاشياء التى ينبغى أن تلاحظ فىحياة السيدة عائشة بعد النبى عليه السلام أنها قضت خلافة أبى بكر وعمر وهى لاتشعر بأن مكانها فى عهد النبىقد تغير أو بأن امرا منامور السياسة العامة يدعوها الىالتعرض له راضية أو ساخطة • حتى كانت خلافة عثمان فتغيرت الحال ، وكان لتغييرها دلالةكبيرة وأثر كبير

ففى عهد ابى بكر كانت امور السياسة العامة تجرى على احكام الدين وتركن منه ومن أصحابه الى سند ركين ، وكان الخليفة أباها وهو أول من يدعوها بأم المؤمنين

وفى عهد عمر كانت أمور السياسة العامة تضطرب أو تسكن ولكنها فى كلتا الحالتينلاتتشعب ولاتؤذنبانصداع، وكان عمر أهيب خليفة عرفه الاسلام وأحب خليفة الى عائشة رضى الله عنها • سرت صداقة الأبوين ابى بكر وعمر الى بنيهما فكانت عائشة وحفصة أصدق صديقتين تتفقان وتتكاشفان كلما وقع الخصام فى بيت النبى عليه السلام • وحفظت له أجمل الشكر لموقفه من حديث الافك

حين شاوره النبى فقال له : ان الله هو الذى زوجكها وانه سبحانه وتعالى لم يدلس بها عليك . وتم هذا الشكر حين ولى الخلافة فرعى لها المكانة الاولى بين المسلمين ، وخص بيت النبى بالحصة العليا من الحفاوة والعطاء

فمضى العهدان ـ عهد أبى بكر وعمر ـ وليس فى الحياة الخاصة ولا فى الحياة العامة مايشعرها بتغيير أو ينزع بها الى نوازع السياسة ، وما تعارض منها أو جنح الى التحزيب والتأليب

ثم تغيرت الامور فى عهد عثمان

ولولا هذا التغير لما عرف للسيدة عائشة نصيب من السياسة العامة بعد موت النبى ، وهو الموقف الذى تحولت بها الأحوال اليه بعد اجتناب السياسة العامة قرابة سنة، على غير سابقة له فى سيرتها الاولى